حصن وقصر الأخيضر

ذلك اللغز العجيب

> تحقيق وتصوير:
وليد عبد الأمير علوان

واحد من أمتن القلاع والحصون في العالم الإسلامي، والذي لم تكتشف أسراره لحد الآن، فهو لا يزال لغزا محيرا للآثاريين والباحثين، حيث لم يعرف من الذي بناه؟ ولماذا ؟ ومتى تم ذلك؟ وهل هو أثر إسلامي أم هو من آثار الساسانيين؟ ومن الذي سطر حروف اللغة الصفائية على جدرانه؟ أما بالنسبة لزائر هذا الأثر، فإن الحيرة تنتاب كل من يصل إليه، هل هو حصن أم قصر؟ وما هو سر الهندسة المعمارية التي استخدمت بالطريقة الرائعة في صف الطابوق للحصول على أشكال هندسية متنوعة؟ وهل بني خلال مرحلة واحدة أم عدة مراحل؟ وما هو سر القنوات التي تحيط به؟ إنه قصر أو حصن الأخيضر في صحراء مدينة كربلاء المقدسة.

الموقع

يقع حصن أو قصر الأخيضر في الصحراء الغربية ،على بعد 48كم إلى الجنوب الغربي من مدينة كربلاء، وعلى بعد 150كم جنوب العاصمة بغداد، وهو يعد اليوم واحدا من أجمل القلاع أو الحصون في العالم الإسلامي، كما إن سوره الخارجي يعد أكمل سور خارجي، وبهذه الحالة الجيدة التي وصلت إلينا، وإن الوصول إليه يتم من خلال سلوك الطريق البري الذي يربط كربلاء بمدينة عين التمر، وسط الصحراء الغربية، حيث تنتشر هناك آثار الطار، وكنيسة الأقيصر، وقصر شمعون.

حصن أو قصر الأخيضر

يبلغ طول الحصن 176 مترا، وعرضه 164 مترا، ومساحته الكلية 29000 مترا مربعا، وهو يحتوي على 165 غرفة مختلفة الأحجام، يضم هذا الحصن إيوانات، وصالات للاستقبال، ورواقا كبيرا، وغرف للمعيشة، مع بهو ،وحمام، ومسجد، وهو يتكون من ثلاثة قصور متقاربة، تبدو وكأنها قصرا واحدا، وهناك أيضا قسم خاص بالحرس، وهذه جميعها محاطة بسور عظيم.

الحصن على شكل مربع، يبلغ طول كل ضلع من أضلاعه 17 مترا ، أما القصر فمستطيل الشكل،يبلغ عرضه 80 مترا وطوله 110 أمتار. عند دخولك إلى مدخل القصر يواجهك دهليز ضخم يعلوه طاقم مرتفع، وفي الجهة الغربية من الدهليز، هناك جامع تم بناؤه على الأرجح بعد فترة زمنية من بناء هذا الحصن. جدران الحصن الخارجية مجهزة بسلسلة أبراج من جهاتها الأربعة يبلغ عددها 48 برجا، والأبراج الكائنة في الزوايا، تستوقف الأنظار أكثر من غيرها، لجماليتها، غير أن البرجين الواقعين في وسط الجهتين الشرقية والغربية يحتويان على آثار معمارية أهم منها جميعا. ولعل أجمل ما في القصر هو سوره الخارجي الذي لايزال على حاله، وهو يحيط الحصن من جهاته الأربعة. يحتوي هذا السور على أربع بوابات، أهمها البوابة الشمالية. وهو مبني من الحجر والجص وينتهي بأبراج نصف اسطوانية والتي تم ذكر عددها آنفا، وهي للأغراض الدفاعية .

واجهة الحصن

The front of the fort

عند اجتياز البوابة الشمالية، تصل إلى ممر يؤدي إلى غرفة جلوس الأمير، أو صاحب القصر، أما على الجهة اليمنى من هذا الممر، فهناك غرف للنوم، في حين إن الجهة اليسرى، تحتوي على سلم واسع، يبلغ عرضه حوالي مترين، يمكن تسميته بـ"سلم الطوارئ"، حيث يكفي لصعود فارس يمتطي حصانه، ويعتقد أن المؤونة والذخيرة الخاصة بالحرس الموجودين في أعلى الحصن كانت تصل إليهم عبر هذا السلم.

يضم الجزء الرئيسي من هذا الحصن الرواق الكبير، والبيوت الأربعة، ويعتقد إن هذه البيوت هي لسكن ضباط القصر، حيث يضم كل منها غرفة جلوس، وغرف نوم، وحمام، ومطبخ، وتحتوي على نفق يؤدي إلى النفق الخارجي. أما في الجهة الشمالية الشرقية من الحصن، فيقع هناك بيت الأمير، ويمتاز بيت الأمير بوجود سرداب كبير يحتمل أنه كان يستخدم للنوم في أيام القيظ، أما غرفة النوم فإنها واسعة جدا، ويحتوي سقفها على نقوش جميلة، وزخارف بديعة، وذلك من أجل إدخال الراحة والسرور على نفسه، أما الحمام فإنه يحتوي على ثلاث غرف، يؤدي بعضها إلى بعض، أبرزها غرفة التدليك، والتي هي على شكل دكة، توجد تحتها كوة، للتدفئة، مصنوعة من الطابوق والجص، أما الغرفتان الأخريان فواحدة للغسل والأخرى للراحة، ونظام الحمام غاية في الروعة، حيث هناك أنابيب لتصريف المياه، وفتحات لتصريف البخار.

أما الجامع فانه يحتوي على مصلى كبير، فيه محراب باتجاه القبلة، ويقال بأنه قد أنشئ في عصور متأخرة.

التحصينات العجيبة

قد تكون تحصينات هذا الحصن هي من تلك التي يصعب اختراقها، فبالإضافة إلى أسواره العالية، وأبراجه الفخمة، والمداخل السرية تحت الأرض، التي تسير إلى مسافات بعيدة خارج الحصن، توجد هناك أنفاق سرية في البيوت الأربعة، تسير باتجاه المساحة المحصورة، بين الجزء المركزي من الحصن، وجزئه الخارجي. كذلك يوجد في أعلى الحصن ثلاثة شقوق في كل برج تستخدم لصب الزيت المغلي على المهاجمين في حالة دخولهم إلى داخل الحصن. أما طريقة رمي السهام، فإن الفتحة الموجودة في كل برج، والتي لايزيد عرضها عن 10 سم، فهي الكفيلة بجعل المدافعين عن القصر يرمون سهامهم بالاتجاه الذي يريدون دون أن يعطوا المهاجم الفرصة لإلحاق الأذى بهم.

أسرار القصر

لعل أول الأسرار التي لم تكتشف لحد الآن هو أنه تم العثور في بعض مناطق الجدار على كتابات، وبعد التحري والدراسة، اكتشف أنها مكتوبة باللغة الصفائية، وهي تعود لأقوام كانوا يسكنون في اليمن، ويظهر أنهم قد قدموا إلى منطقة الحصن، واستقروا فيها، ونزحوا عنها لأسباب غير معروفة.

أما السر الآخر فهو حقيقة تزود الحصن بالمياه، حيث تم العثور على قناة تصل إلى القصر، ويقال إنها كانت تأتي بالمياه من نهر الفرات، الذي يبعد عن الحصن بـ50كم وهي مبنية من مادة النورة، حيث كانت تستخدم عندما تشتد الحاجة إلى المياه وخصوصا في فصل الصيف، إلا أنه قد تم إغلاق فتحتها المؤدية إلى القصر في الوقت الحاضر. ولعل هذه من عجائب الهندسة في بلاد الرافدين. هذا ويوجد في القصر أربع آبار، كانت تزود الحصن بحاجته من المياه، ويقال إن الماء كان يفيض فيها لكثرته. وعلى الأرجح فإن هذا الحصن قد بني في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، وذلك بدلالة نوع الريازة التي استخدمت في بنائه، والتي كانت سائدة في ذلك الوقت، كذلك اللقى التي تم العثور عليها، ويقال إنه كان ملتقى لرؤوس "إخوان الصفا" الذين كانوا يتدارسون أمورهم فيه . ■

جانب من السور

The wall

ممرات في أعلى الحصن

Walkways top of the wall